الجاليات الإسلامية في الموانئ الأسيوية

عند إبن بطوطة الطنجى

م . فينوس ميثم علي

الجامعة المستنصرية/كلية التربية الاساسية

الكلمات المفتاحية: إبن بطوطة، الهند، الصين، الجاليات الإسلامية

المستخلص:

كان ابن بطوطة علي نقيض الغالبية العظمي من الجغرافيين العرب، لم يجمع مادته من صفحات الكتب، بل جمعها عن طريق التجربة الشخصية وعن طريق محادثاته، مع شخصيات تعرف عليها، عرضاً في خلال رحلاته و حتي أصبح كتابه نسيج وحده كوصف للمجتمع الإسلامي والشرقي عامة في القرن الرابع عشر، فهو خزانه تحفل بمادة غنية لا في مجال الجغرافيا التاريخية أو تاريخ عصره فحسب، بل عن جميع حضارة ذلك العهد، كما قدم لنا نموذجاً صادقاً لأفكار وتصورات مواطن إسلامي من أهل القرن الرابع عشر.

كما نستنتج مدى تمتع الجاليات الإسلامية في الموانئ الأسيوية خاصة من قبل حكومة البلاد، إذ يسمحون لهم بممارسة شعائرهم دينهم والتزاوج منهم ودخولهم الإسلام، والمتبع لعملية انتشار الإسلام في خارج حدود الدولة العربية الإسلامية يجد أن أول من بدأ ينشر الإسلام هم التجار الذين امتازوا بالأمانة التجارية وفقاً لشريعة الإسلام، مما ساعد ذلك في تعزيز الثقة بين الجاليات الإسلامية وأهالي البلاد الأصليين

المقدمة:

يهدف البحث إلى التعرف على الجاليات الإسلامية في الموانئ الأسيوية من خلال رحلة واسعة ومهمة جداً، هي رحلة ابن بطوطة (ت779هـ/ 1369م) المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، فتعد رحلة ابن بطوطة موسوعة جغرافية من العالم الإسلامي كونها تلم بكل أنواع العلم والمعرفة الاجتماعية والسياسية والحضارية، كما تحوي علي الكثير من أخبار المسلمين ودورهم الديني والحضاري في الموانئ الأسيوية، فيحكى عنها ابن بطوطة خلال رحلته بوصف دقيق لكل ما صادفه وما تعجب منه من أحوال الجاليات الإسلامية بالموانئ الأسيوية، وتكمن أهمية الموضوع في التعرف على مكانة الجاليات الإسلامية في الموانئ الأسيوية ودخول الإسلام عن طريقهم حتي أصبحت تضم تلك الموانئ أكبر تجمع إسلامي بها، فالدراسة تمثل أحد أشكال جسور التواصل بين الحضارتين.

إشكالية البحث:-

إن موضوع الجاليات الإسلامية في الموانئ الأسيوية عند ابن بطوطة يعد في غاية الأهمية، خاصة إذا علمنا أن دراستنا له تهدف إلى معالجة الأثر البارز الذي نقله ودونه الرحالة العرب عن كتاباتهم لهذه المنطقة، وابن بطوطة يعتبر أحد هؤلاء الرحالة الذي قادته الرحلة لهذه الموانئ الأسيوية وأظهرت رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار عن مدى التقدم الحضاري والديني الذي بلغته الجاليات الإسلامية في هذه الموانئ، بفضل العلاقات المتينة التي كانت تربط شعوب المنطقة بالعالم الإسلامي، ومن هنا نطرح الإشكال الآتي: من هو الرحالة ابن بطوطة؟ وفيما تمثلت كتاباته أثناء رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار عن الجاليات الإسلامية في الموانئ الإسلامية؟ وكيف ساهمت هذه الرحلة في تدوين تاريخ الجاليات الإسلامية في الموانئ الآسيوية؟

منهج الدراسة.

اتبعت في هذه الدراسة منهج البحث التاريخي الذي اعتمدت فيه على وصف المظاهر الحضارية والحوادث التاريخية مع الالتزام بالترتيب الموضوعي ومراعاة التسلسل الزمني للأحداث، إضافة لاستقراء بعض كتب الجغرافيا والرحلات والتراجم لتحديد الأماكن والمواقع والتعريف بالشخصيات، وحرصت على جمع المادة التاريخية

وربطها بالأحداث وفق الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت المنطقة من خلال ما كتبه ابن بطوطه في رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار.

المدخل :-

قدم ابن بطوطة من خلال رحلته التي استمرت أكثر من ثمانية وعشرين عاماً معلومات قيمة جداً، إذ زار وتجول فيها بلدان المشرق الإسلامي الأقصى وبعض مناطق أفريقيا وأطلع على أكثر الدول والمدن وأحوال الجاليات الإسلامية بها، كما نقل لنا ما رآه من معلومات حول النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأعطى معلومات تاريخية قيمة صادقة وموثوقة بالأدلة والبراهين التي إلتمسها في رحلته، ويعد ابن بطوطة من أشهر الرحالة في العصور الوسطي فقد نقل لنا تجاربه مع الشعوب والبلدان التي زارها وسرد لنا ثقافة غربية فهو بحق قد فاق كل رحالة عصرة، فقد أكثر في مجال الجغرافية والعمارة والتجارة والنواحي الدينية، فقد كانت رحلته مصدراً من مصادر العلم والمعرفة ومنبعاً ترفد الحضارة العربية الإسلامية بالمعلومات القيمة.

اولا :أسمه ونسبه

هو محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي (نسبةً إلى قبيلة لواته إحدى قبائل البربر)، ولد في مدينة طنجة في المغرب الأقصى عام 703هـ/1304م[1].

- فقد لقب بـ (شيخ الرحالين)[2].
- ولقب بـ (سيد الرحالة العرب)[3].

-أما المشارقة ببلاد الشرق فقد أطلقوا لقب عليه (شمس الدين)[4].

وينحدر ابن بطوطة من أسرة عريقة تولي معظم أفرادها القضاء والمشيخة، وقد التزم والده بتعليمه تعليماً دينياً ليتهيأ لتولي القضاء، كما تولاها غيره من أفراد أسرته وعندما أتم الثانية والعشرين من عمره، خرج إلي فريضة الحج وابتدأت رحلته منذ ذلك الوقت[5].

ثانياً- أسباب أهمية الرحلة بالنسبة للمسلمين.

حث الدين الإسلامي علي العلم والسعي في طلبه لذلك ازدهرت سائر أنواع المعرفة بصفة عامة والجغرافية بصفة خاصة في ظل الإسلام، وذلك لأن العبادات في الإسلام مرتبطة بتحديد الوقت مثل الصلاة والصوم وتحديد معظم الاتجاهات، كذلك كان للحج عامل كبير في تلاقي الشعوب الإسلامية وتبادل المعرفة الجغرافية[6]، وكان الرحالة العرب يختارون التجوال في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية للوقوف على أوضاع المسلمين بها ودورهم الديني والاجتماعي والحضاري بها ودوره في نشر الإسلام، وتكوين الجاليات العربية الإسلامية التي استقرت في كثير من الموانئ الأسيوية، فقد أدي التجار العرب المسلمون وهذه الجاليات دوراً كبيراً في نشر الإسلام بهذه المناطق البعيدة[7]، وكان من نتاج ذلك تزايد المعرفة الجغرافية من خلال الرحلات والكشوف عند العرب علي النحو التالي[8].

1- تزايد المعرفة الجغرافية عن الأقاليم الداخلة تحت رقعة الإسلام.
2- كان للرحالة والمستكشفين المسلمين دور بارز في تزايد المعرفة الجغرافية عن تلك الأقاليم.
3- وقد سلك الرحالة تلك المناطق والتي لم يسبق لهم أن سلكوها وقدموا عنها وصفاً جغرافياً مفصلاً سهل التعرف عليها ورسم خرائط لها وكانوا دقيقين في وصفهم لتلك المناطق الجغرافية[9].

وكانت للرحالات البحرية اهتماما كبيراً لدي الرحالة العرب المسلمين، فقد كان المسلمين دوراً كبيراً فيها إذ كانت انطلاقات الرحالة من ميناء البصرة وموانئ الخليج العربي إلي الهند والصين وحتي جنوب شرق أسيا وكتبوا عن تلك البلدان، وتحدثوا عن الاتصال بين العرب والسكان الموجودين في الصين والهند ودور الجاليات الإسلامية في نشر الدين الإسلامي والتقدم الحضاري بتلك البلاد، مما سهل على الرحالة أن يكتبوا ويدرسوا تلك الأرضي[10].

ثالثاً - سير الرحلة (أبرز المناطق التي زارها).

يعد كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، كتاب في الرحلات وأخبار المدن، يحكي أخبار ابن بطوطة أشهر رحالة مسلم زار مصر وبلاد الشام والحجاز والعراق وتركيا والهند والصين وجزر المليبار، والبنغال وباكستان وقد عني بالأماكن

والأشخاص، ضمن منحنين الأول علمي والثاني صوفي، ولم يترك هذا الكتاب أي شيء من رحلته، فوصف أهلها وحكامها وعلمها وألبستها، والجاليات الإسلامية بها، كما ذكر الأطعمة وأشكالها والعديد من الأشياء التي صادفها في هذه الرحلة[11].

خرج ابن بطوطة من طنجة يوم الخميس الثاني من رجب عام(725هـ/1325م)، لأداء فريضة الحج والزيارة ثم العودة إلي ديارة، ولكن الرحلة استمرت لأكثر من تسعة وعشرين عاماً زار خلالها معظم الحواضر والمدن في أنحاء متفرقة من العالم، منها مكة المكرمة والمدينة المنورة، الإسكندرية، القاهرة، القدس، دمشق، النجف، بغداد، ظفار(البحرين)، قونية (القسطنطينية)، سمرقند، دلهي وتعرف أيضاً بدهلي، جزر المالديف جاوة، الصين، غرناطة، مالى، تمبكتو، وأخيراً فاس التي استقر بها آخر المقام[12].

أ- الرحلة الأولى (725-751هـ/1325-1350م).

تعد هذه الرحلة أطول رحلات ابن بطوطة، وكانت انطلاقته من مدينة طنجة بالمغرب العربي، وكان ذلك في سنه(725هـ/1325م)قاصداً الحجاز لزيارة بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وأداء فريضة الحج ماراً بالجزائر وتونس وطرابلس ومصر[13]، وعابراً البحر الأحمر إلي أرض الشام وفلسطين واليمن، ليعود إلى بلاده ماراً بالعراق حينها استغل الفرصة لزيارة بلاد إيران والجزيرة وشرق أفريقيا وتركيا وبلاد التتال والقرم أو القريم حوض الفولغا والقسطنطينية وخوارزم وبخاري وتركمنستان وأفغانستان والهند وجزر المالديف، ومنها توجه إلي بلاد الصين عن طريق جزيرة سيلان والبنغال أقاصي الهند، عائداً إلي بلاده المغرب – فاس[14].

ولكنه لم يمكث طويلاً في بلاده حتي استعد إلى رحلته الثانية.

ب - الرحلة الثانية (751 – 752هـ/1350-1351م).

تجول لمدة قصيرة عبر مملكة غرناطة وغيرها من البلدان الأندلسية[15]، حيث تعرف في أثناء ترحاله إلي سبته وجبل طارق وغرناطة ومالقة، ولكنه لم يمكث طويلاً ليعود إلي فاس للاستعداد للرحلة الثالثة[16].

ج - الرحلة الثالثة (753هـ/ 1352م).

خرج من سجلماسة في محرم (753هـ/ 18 فيفري 1352م) إلي جنوب القارة الأفريقية، فوصل سجلماسة، ومنها إلي تغازي (في جمهورية مالي)، ثم أيوالاتن (في

جمهورية موريتانيا) ثم إلي مدينة مالي، وقد اندثرت هذه المدينة، وكانت مقراً لملك السودان، وتسمي جمهورية مالي الحالية باسمها، أقام بها سنة واحدة وسبعة شهور تقريباً، وغادرها في 22 من المحرم سنه 754هـ، ثم توجه بعدها إلي ميمة، فتنبكتو، فكوكو، ومن كوكو إلي مدينة تكدا (في جمهورية النيجر) ومنها إلى بلاد قبيلة بردامه البربرية ثم إلي الهكا (وهم من البربر)، ثم اتجه بعد ذلك إلى سلجماسة، ومنها رحل إلي مدينة فاس فوصلها في أواخر ذي الحجة سنه 754هـ[17]، كانت أكثر إقامة ابن بطوطة في الهند حيث تولي القضاء بها سنتين، ثم في الصين حيث تولي القضاء لمدة سنة ونصف بها أيضاً، وقد وصف لنا ابن بطوطة كل ما شاهده وعرفه فيهما من سلاطين وخواتين ووصف ملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم وضيافتهم وترتيب مآكلهم ومشاربهم والغزوات التي حضرها[18].

كان ابن بطوطة يسجل تفاصيل رحلاته الطويلة من ذاكرته، فلم يكن يدون أحداثها كيوميات، ولم تخنه ذاكرته إلا قليلاً، فلو طبق خط سير الرحلات كما ذكرها ابن بطوطة على خرائطنا لما وجدنا كبير اختلاف بينهما، وإن كان يلتبس عليه الأمر في بعض الأحيان في حديثه عن البلدان التي زاهرها أكثر من مرة، فيخلط بين هذه الرحلات المتعددة، ولا يميز إحداها عن الأخرى تميزاً دقيقاً، فيضع بعض الأحداث في غير موضعها[19].

ثالثاً-وفاته .

استقر ابن بطوطة في بلاده المغرب بعد عودته من رحلته، وقد أورد ابن حجر أنه مات فيها وهو متولي القضاء[20]، وذكر ابن الخطيب أنه كتب إليه رسالة بصفته قاضي تمسنا يرجوه المساعدة علي شراء قطعة أرض بجوارها ليعدها للفلاحة عند الحاجة حين قرر الاستقرار بالمغرب، فكانت وفاته إذ هو قاضي سنة (777هـ/1375م)[21]، أو سنة (779هـ/1377م) حسب رواية كثير من المؤرخين [22].

ثانياً: الجاليات الإسلامية في الموانئ الأسيوية ودورهم الحضاري في أماكن استقرارهم .

تكونت جاليات عربية إسلامية في كثير من أطراف الهند والصين، الذين كان لهم دور كبير في نشر الإسلام في هذه المناطق، فقد استفاد التجار العرب من الخبرة التي كونها عن المجتمع الهندي الذي وطئته أقدامهم أول مرة في التكييف مع المجتمع

الملايوي الذي يشبه إلي حد ما المجتمع الهندي، فقد استطاع التجار المسلمين الوصول إلي قلوب الأهالي بتعليم لغاتهم وانتحال أخلاقهم وعاداتهم وأخذوا في رفق وتدرج ينشرون معارف دينهم بأن بدأوا يحولوا إلي الإسلام نساء البلاد اللائي تزوجوا منهن[23]، وكانت الرحلات العربية التجارية التي تأتي من بلاد العرب وبالأخص حضرموت تستغرق شهوراً طويلاً، وكان التاجر العربي يسير في تجارته إلي هذه الأماكن النائية دون أن يصطحب زوجته معه، لذلك كان التاجر عندما يتخذ له مركز في جزيرة من الجزر يتخذ له كذلك زوجه من الملايو، أما التجار المسلمين الذين استقروا في مناطق السكان الوثنيين استطاعوا أن يكونوا لهم بيئة خاصة من خلال تكوين عائلة له، بأن يتزوج من وثنية بعد دخولها الإسلام، لتصبح هذه المرأة عضواً في المجتمع الإسلامي[24].

حرص ابن بطوطة من خلال رحلاته علي ذكر كثير من العادات في مجتمعات الهند بعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي لها، وإبراز الجوانب المشرقة للحضارة الإسلامية والآخاء الإسلامي بين شعوبه[25]

وذكر ابن بطوطة أن سلطان الهند يساعد التجار المسلمين (الغرباء) على ازدهار تجارتهم، وكان يطلق عليهم لقب الأعزة فيقول (ومن عادة ملك الهند السلطان أبي المجاهد محمد شاه[26] إكرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة، ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضائه وأصهاره غرباء، ونفذ أمره بأن يسمي الغرباء من بلاده بالأعزة، فصار لهم ذلك علماً، ولابد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها إليه، ويقدمها وسيلة بين يديه، فيكافاه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة)[27].

ومن المظاهر الحضارية التي ذكرها ابن بطوطة لمناهضة العنصرية من قبل حكام الهند المستنيرين الذين حرموا في دولتهم استعمال كلمة أجنبي أو كلمة غريب واستعملوا بدلاً منها كلمة عزيز والجمع أعزة، وذلك لكل من قصدهم ورتبوا لهؤلاء الأعزة مكانة متميزة في المراسم والحفلات[28]. وقد جسد ابن بطوطة برحلته إلي الهند جسراً متيناً من الحوار بين الحضارة الإسلامية التي أنشأها الجاليات الإسلامية بها، والحضارات المختلفة[29].

وقد تناول إبن بطوطة برحلته إلي الهند العديد من الأعلام الجغرافية التي زارها في رحلته إلي الهند، نذكر منها مدن أبوهر، وأجودهن، وأوجه، وجنابي، وسرستي، وحاسني، ودهلي، ولاهري، وتارنا، ولاهور، وملتان، وسيوستان، وغيرها من الأماكن.

1-السند (باكستان الحالية).

ذكر ابن بطوطة عدة مدن سندية وهو في طريقة لدخول الهند يقول (ولما كان بتاريخ الغرة من شهر المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا إلى وادي السند المعروف ببنج آب، ومعني ذلك المياه الخمسة، وهذا الوادي أعظم أودية الدنيا، وهو أول عمالة المعظم محمد شاه ملك الهند والسند، وقد فتحت السند قي أواخر القرن الأول الهجري عام(94هـ/712م)، في حين دخل الإسلام بلاد الهند في بداية القرن الخامس الهجري أيام السلطان محمد الغزنوي[30]، وكانت ملتان عاصمة السند أيام ابن بطوطة والآن مراكش الواقعة علي بحر العرب هي عاصمة (السند) وبها عدد كبير من الجاليات الإسلامية[31].

2-لاهري و المعروفة الآن (لاري يندر).

ذكر ابن بطوطة مدينة لاهري فيقول (لاهري وضبط أسمها بفتح الهاء وكسر الراء، مدينة حسنة علي ساحل البحر الكبير، وبها يصب نهر السند قي البحر، فيلتقي بها بحران، ولها مرسي عظيم يأتي إليها أهل اليمن وأهل فارس وغيره، بذلك عظمت جباياتها وكثرت أموالها)[32].

3-دهلي (دلهي).

يقول ابن بطوطة عنها(وصلنا إلي حضرة دهلي قاعدة بلاد الهند وضبط اسمها بكسر الدال وسكون الهاء وكسر اللام، وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير، وهي أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالمشرق، وبها العديد من المسلمين يعيشون بها)[33].

4-مدينة كنباية (كمباي).

ذكر ابن بطوطة (كنباية وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة وألف وباء آخر الحروف مفتوحة، وهي علي خور من البحر، وهو شبه الوادي، تدخله المراكب وبه المد والجزر، وعانيت المراكب به مرساه في الوحل حين الجزر، فإذا كان المد عامت في الماء، وهذه المدينة من أحسن المدن في إتقان البناء وعمارة المساجد، وسبب ذلك أن أكثر سكانها من التجار الغرباء، فهم يبنون بها الديار الحسنة والمساجد العجيبة ويتنافسون في ذلك، ومن الديار العظيمة بها دار الشريف السامري الذي اتفقت معه قضية الحلواء، وكذلك به ملك الندماء، ولم أر قط أضخم من الخشب الذي رأيته بهذه الدار، وبابها كأنه باب مدينة، وإلى جانبها مسجد عظيم

يُعرف باسمه، ومنها دار ملك التجار الكازروني، وإلي جانبها مسجده ، ومنها دار التاجر شمس الدين كلاه وزه " خياط الشواشي")[34].

5-مليبار أو (مالابار).

تعد موانئ المليبار أحسن بلاد ذلك الساحل وأسواقها حسان وتجارها يعرفون بالصولين، وبها جماعة كبيرة من التجار المسلمين، وفيها حارة للمسلمين وبها جامع[35]، وذكرها إبن بطوطة (بلاد المليبار بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الياء الموحدة وألف وراء، وهي بلاد الفلفل، وطولها مسيرة شهرين علي ساحل البحر من سندا بور إلي كولم، والطريق في جميعها بين ظلال الأشجار وفي كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل وارد وصادر من مسلم وكافر، وعند كل بيت منها بئر يشرب منها، ورجل كافر موكل بها، فمن كان كافراً سقاه في الأواني، ومن كان مسلماً سقاه في يديه، ولا يزال يصف له حتى يشير له أن يكف، وعادة الكفار ببلاد المليبار أن لا يدخل المسلم دورهم، ولا يطعم في أوانهم، فإن طعم فيها كسروها وأعطوها للمسلمين وإذا دخل المسلم موضعاً منها لا يكون فيه دار للمسلمين، طبخوا له الطعام، وصبوه في أوراق الموز وصبوا عليه الإدام، وما فضل عنه تأكله الكلاب والطير، وفي جميع ما يحتاجون إليه، ويطبخون لهم الطعام، ولولاهم لما سافر فيه مسلم، والمسلمون أعز الناس بها، غير أنهم لا يؤاكلونهم ولا يدخلونهم)[36].

6-مدينة أبي سرور (سلور حالياً).

بفتح السين وهي صغيرة علي خور كبير، كثيرة أشجار النارجيل، وكبير المسلمين بها الشيخ جمعة المعروف بأبي سته، أحد الكرماء، أنفق أمواله على الفقراء والمساكين حتي نفذت[37].

7-مدينة فاكنوز (يبدو أن هذه المدينة اندثرت حالياً).

مدينة فاكنوز (بفتح الفاء والكاف والنون وآخره راء، مدينة كبيرة علي خور بها قصب السكر الكثير الطيب الذي لا مثيل له بتلك البلاد، وبها جماعة من المسلمين يسمي كبيرهم بحسين السلاط، وبها قاضي وخطيب)[38].

8- مدينة قالقوط (كاليكوت).

ضبط اسمها بقافين وكسر اللام وضم القاف الثاني وآخره طاء مهمل، هي إحدى البنادر العظام ببلاد المليبار بقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان وأهل اليمن وفارس، ويجتمع بها تجار الآفاق ومرساها من أعظم مراسي الدنيا[39].

9-الصين .

كانت التجارة مصدر الإسلام الأول إلي المجتمع الصيني وقد زادت معرفة الصين بالدين الإسلامي من خلال العلاقات التجارية بين المسلمين والصينيين، حتى اعتنقه عدد كبير منهم بفضل التجار المسلمين الذين بلغت أعدادهم الآلاف[40]. أذ تواجد التجار المسلمون بأعداد كبيرة في ميناء خانفو التي تعد من أكبر مراكز المسلمين في الصين وملتقي التجار العرب المسلمين، وصفها السيرافي بأنها" مرفأ السفن ومجتمع تجارات العرب وأهل الصين" [41]، أما المسعودي فذكر أنها "مدينة عظيمة علي نهر عظيم"[42].

وقد سكن مدينه خانفو أو كانتون الحديثة أو شينانقو (هانغتشو حالياً)، أجناس أخري إلا أن الجالية العربية حظين باهتمام كبير تمثل بتعيين السلطات الصينية أحد المسلمين ليرعي شؤون التجار العرب والمسلمين[43]، وقد احتلت خانفوه مركزاً ممتازاً في تجارة المسلمين مع الصين واستقرت لهم جالية كبير فيها، ومن هذا المركز اتصل التجار المسلمون بسائر بلاد الصين، فوصلوا إلي هانغ شو في الشمال التي دعوها قانصوه واتصلوا بعاصمة مملكة التانغ الحاكمة في الصين (هسي– آن – فو) التي سماها العرب خمدان[44]، وباستمرار زيادة أعداد المسلمين توغل العرب إلي الداخل حتي وصلوا إلي مدينة تشوان تشوويانغ تشووهانغ تشو على ضفة نهر اليانتسي، أما التجار العرب الذين وصلوا إلي الصين براً عن طريق أسيا الصغرى وما يسمي حالياً بتركستان، فقد ألقوا عصاهم في مدينة تشانغ – آن[45]. لذلك أصبح أعضاء الجالية الإسلامية من أغنى الناس في الصين وكثر الوافدون عليهم من بني دينهم وجنسهم، كما حرصت السلطات الصينية علي منح المسلمين هناك امتيازات كثيرة لما لهم أثر كبير في اقتصاديات البلاد، من ذلك مثلاً حقهم في اتخاذ قاضٍ مسلم من بينهم، يؤمهم في الصلاة، ويحكم في المشاكل التي يتعرضون لها، وحقهم قي الحصول علي جوازات تتيح لهم التجارة مع أهل الصين داخل البلاد، وتابع التجار المسلمون نشاطهم في الوصول إلي كوريا، وأصبح للجاليات الإسلامية مركزاً كبيراً فيها، وقد جاءت زيارة ابن بطوطة إلي الصين وتجواله في مدنها سجلاً حافلاً عن حياة المسلمين ونشاطهم ودورهم الحضاري فيها[46]. ومن المدن الصينية التي تواجد المسلمين بها مدينة الزيتون (تشوانتشو)[47]، وكانت مدينة تشوانتشو أكبر ميناء ترسو فيه مئات السفن دائماً وتقيم التجار الفرس والعرب في الأحياء الخاصة بهم في المدينة، وأقاموا مسجداً فيها[48].وقد أشاد ابن بطوطة بكرم المسلمين المقيمين بالزيتون حيث قال (إذا قدم عليهم. المسلم فرحوا به

أشد الفرح وقالوا جاء من أرض الإسلام، وله يعطون زكوات أموالهم و فيعود غنياً كواحد منهم)[49]. وبالإضافة إلي منائي الزيتون وخانفوه فقد قصد التجار المسلمون موانئ لوقين، وخمدان، وصينية الصين[50].

أما مدينة الخنساء التي عرفت بمساحتها الكبيرة وعمرانها المتناثرة على مساحات كبيرة إذ قال عنها إبن بطوطة أكبر مدينة رأيتها علي وجه الأرض، حسنة أسواقها مرتبة كترتيبها في بلاد الإسلام وبها المساجد والمؤذنون، سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا، كذلك يبين ابن بطوطة مدي الاستقرار الذي كان يتمتع بها الجاليات الإسلامية وبناء المساجد وكذلك أسواقهم، كما تطرق ابن بطوطة إلي كثير من جوانب الحياة للمسلمين المستقرين في هذه المدينة، فعندما وصل إليها خرج إليه قاضيها فخر الدين وشيخ الإسلام بها، وأولاد عثمان بن عفان المصري، وهم كبراء المسلمين بها[51].

ويدل وجود قاضٍ مسلم وشيخ كبير للمدينة على حرص مسلمي مدينة الخنساء والتي تعد من أكبر المدن الصينية، على تعاليم تطبيق مبادئ الدين الإسلامي فيها، إذ يقول ابن بطوطة (ولابد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام وتكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه وقاض يقضي بينهم)[52]، وقد أعجب ابن بطوطة بكثرة أعداد المسلمين فيها، وأن الجالية الإسلامية بها كانوا دعاه لدينهم يكثرون من النفقات علي الفقراء والمحتاجين[53].

أما مدينة خانق بالق فقد وصفها ابن بطوطة من أعظم مدن الدنيا، وأن تصميم بنائها يختلف عن باقي المدن الصينية فبساتينها تكون خارجها ومدينة في وسطها كالقصبة، وأن القان، قد عين مسلماً ليكون مسؤولاً عن باقي المسلمين، وتمت مخاطبته بصدر الجهان[54].

ولقد وثقت بعض المصادر التاريخية أسماء عدد من التجار المسلمين المغاربة بأرض الصين، منهم التاجر المغربي عبدالرحيم الصيني كان واحدا من أوائل المسلمين المغاربة بالصين[55]، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي الذي رحل إلي الشرق وسافر في التجارة من المغرب إلي الصين مع مطلع القرن السادس الهجري، كان فقيهاً عالماً مثقفاً كثير المال[56]، والشيخ الفقيه قوام الدين السبتي البشر يعد من شيوخ العلم في القرن الثامن الهجري الذين ارتحلوا إلي بلاد الصين، واتخذوها موطناً ومقاماً عالم من علماء وفقهاء سبته العالمة الذي سبق معاصرة ابن بطوطة إلي هذه الديار[57].

الخاتمة.

نستعرض فيما سبق دراسة الجاليات الإسلامية في الموانئ الإسلامية في الموانئ الأسيوية في كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) لابن بطوطة وأثرهم الحضاري ، ومدي تأثيرهم في الموانئ الأسيوية ، وفيه توصلنا إلي النتائج التالية :

1. شكلت رحلة ابن بطوطة نافذة مهمة في التعرف علي بلدان وأنظار عديدة لأنها اتخذت من التجربة والمشاهدة المباشرة.
2. تكمن أهمية هذه الرحلة أنها تمدنا بصورة حقيقة لشاهد عيان ابن بطوطة، عن الأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية للبلدان التي زارها، وفي الجانب الحضاري حفلت رحلته بأخبار أحوال الجاليات الإسلامية المسلمين في الموانئ الإسلامية ودورهم في التقدم الحضاري بها.
3. تتمثل قيمة رحلة ابن بطوطة بأنها فتحت الآفاق المعرفية، ودونت فنون المجالس العلمية، واقتحمت الحدود السياسية، ورسمت حدود الخرائط الجغرافية لمختلف الدولة التي زارها ابن بطوطة، فقدم لنا نماذج للتراث الحضاري للجاليات الإسلامية في الموانئ الأسيوية.

الهوامش:

(1) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له وحققه الشيخ محمد عبدالمنعم العريان، راجعه وأعد فهارسه مصطفي القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان، ط1، 1987م، 14/1.

(2) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، بيروت – لبنان، 1987م، ص187.

(3) اغناطيوس يوليانوفيتش كراتشوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ونقله إلي اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم، قام بمراجعته إيغور بليابف، اختارته الإدارة الثقافية في جامعة الدولة العربية، د.ت، 421/1، 422.

(4) محمد يوسف عمر عابد، بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية مقارنة (726 -750هـ / 1326- 1349م)، رسالة ماجستير، إشراف صابر محمد دياب، جامعة أم القري، مكة المكرمة، 1986م، ص24.

(5) ابن بطوطة، تحفة النظار، 14/1.

(6) أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ص12، ص14.

([7]) إمام الشافعي محمد حمودي، قاسم محمد غنيمات، دور التجارة والتجار في انتشار الإسلام في جنوب شرق أسيا، دار الخليج للصحافة والنشر، 2017م، ص92.

([8]) فتحى أبو عيانه وآخرون، دراسات في الكشوف الجغرافية وتطور الفكر الجغرافي، دار المعرفة الجامعية للنشر، الإسكندرية 1988م، ص283، ص284.

([9]) عبدالعال عبدالمنعم الشامى، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط، نشرة دورية محكمة تعني بالبحوث الجغرافية يصدرها قسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية 36 ، ديسمبر 1981م، ص11، ص12، ص13.

([10]) إبراهيم شوكة، الجغرافية العربية حتى نهاية العاشر الميلادي، مطبعة دار الحكمة، بغداد 1990م، ص68.

([11]) عيساوى سيد أحمد، ابن بطوطة والعجائبية في أدب الرحلة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إشراف سفير بدرية، جامعة أبو بكر بلقايد، الجمهورية الجزائرية، 2018م، ص24.

([12]) ابن بطوطة، تحفة النظار، 15/1، 16، 17/ ليلى سعيد سويلم الجهني، رحلة إبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار لأبي عبدالله محمد عبدالله محمد اللواتي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع 5، 2003م، ص128، ص129.

([13]) منصور نعيمة، جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة دراسة تحليلية تطبيقية، رسالة ماجستير، إشراف عبدالقادر سكران، جامعة وهران– السانيا، الجمهورية الجزائرية، 2011م، ص14.

([14]) ابن بطوطة، تحفة النظار، 15/1، 16، 18.

([15]) نعيمة، جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة، ص14.

([16]) ابن بطوطة، تحفة النظار، 19/1.

([17]) ابن بطوطة، تحفة النظار، 20/1.

([18]) نعيمة، جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة، ص15.

([19]) ابن بطوطة، تحفة النظار، 20/1.

([20]) أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد، 1349ه، 481/3.

([21]) لسان الدين إبن الخطيب (ت 776ه)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء للنشر، د.ت، ص137.

([22]) مديحة يعقوب يوسف، الحياة الاقتصادية في عصر المماليك من خلال رحلة ابن بطوطة (ت 779ه)، مجلة الآداب، جامعة بغداد، ع 127، 2018م، ص257.

([23]) قاسم غنيمات، دور التجارة والتجار، ص92 .

([24]) قاسم غنيمات، المرجع السابق، ص93 .

([25]) مجلة الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ع 433، 434، 2012م، ص46.

([26]) هو أبو المجاهد محمد بن طغلقشاه أو تغلق شاه، وهو محمد الثاني، جونا بن تغلق غياث الدين أولوغ خان، تولي الملك بعد وفاة أبيه سنه 725ه ، وكان ذا شخصية غريبة متناقضة تجمع

إلي التدين والكرم والتواضع والقسوة وسفك الدماء، توفي في 12 محرم سنه 752هـ ، ينظر القاضي إبن الفضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيي (ت 749هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1988م، ص72، حاشية رقم (1).

([27]) ابن بطوطة ، تحفة النظار، 407/2 / جلال سعيد الحفناوي، الهند في رحلة إبن بطوطة دراسة حضارية، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية نيودلهي، مج 56، ع 1، 2005م، ص56 .

([28]) الحفناوي، الهند في رحلة ابن بطوطة، ص41.

([29]) الحفناوي، المرجع السابق، ص38.

([30]) هو محمود بن سبكتكين ويعرف بالغزنوي نسبة إلي غزنه، وينحدر سبكتكين في أصله من الترك الوثنيين من سلالة أفاق التركية وقد وقع في أسر المسلمين الترك أو مطوعة السامين، باعه نصر حاجي أحد تجار الرقيق، إلي البتكين في نيسابور قائد الجيوش السامانية علي خرسان، وقد تدرج السبكتكين في الوظائف واضعاً نفسه في خدمة البتكين وابنه إسحق من بعده فصار المقدم عنه وحاجبه الكبير، وعندما انصرف أبو إسحق إلي غزنه سار معه فلم يلبث أن توفي ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للحكم فاجتمع عسكره ونظروا فيمن يلي أمرهم فاجتمعت كلمتهم علي تأمير سبكتكين وذلك سنه 366هـ ، للمزيد ينظر عبدالستار درويش، السلطان محمود الغزنوي: سيرته ودوره السياسي والعسكري في خرسا، دار عالم للثقافة والنشر، 2018م ، ص30 ، ص31.

([31]) إبن بطوطة، تحفة النظار، 409/2، 410.

([32]) ابن بطوطة، المصدر السابق، 412/2.

([33]) ابن بطوطة، المصدر السابق، 426/2 .

([34]) ابن بطوطة، تحفة النظار ، 561/2 / عبدالله إبراهيم، عالم القرون الوسطي في أعين المسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006م، ص566.

([35]) عماد علو، القوي البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الوسطي الإسلامية، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017م، ص274.

([36]) ابن بطوطة، تحفة النظار، 569/2، 570.

([37]) ابن بطوطة، تحفة النظار، 570/2.

([38]) ابن بطوطة، المصدر السابق، 571/2/ عائشة السياس، الهند ومعالمها وأثارها الحضارية منذ القرن الرابع عشر وحتي الحادي والعشرين ، مركز الكتاب الأكاديمي، 2015م، ص132.

([39]) ابن بطوطة، تحفة النظار، 575/2/ عبدالله إبراهيم، عالم القرون الوسطي، ص566.

([40]) كرم حلمي فرحات أحمد، تأثيرات الحضارة الإسلامية في الحضارة الصينية في الرياضيات والفلك والطب والصيدلية والهندسة المعمارية والآلية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج 8 ، ع 2 ، جمادي الآخرة 1432هـ / يونيو 2011م، ص55.

(41) أبو زيد الحسن كان حياً (203هـ /818م)، رحلة السيرافي، تح عبدالله الحبشي، أبو ظبي المجمع الثقافي، ط1، 1999م، ص24.

(42) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ / 967م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 2007م، 143/1.

(43) ابن بطوطة، تحفة النظار، 583/2.

(44) عماد علو، القوي البحرية والتجارية، ص292، ص293.

(45) إخلاص محمد سليمان العيدي، الواقع الحضاري للعرب في الصين أبن حكم أسرة يوان المغولية 670-770هـ /1271-1368م، المؤتمر الدولي الرابع حول العلاقات العربية الصينية التاريخ والحضارة، جامعة قناة السويس، 2012م، ص325.

(46) تشوانتشو أو مدينة الزيتون كما سماها العرب، وهي مدينة تجارية بمقاطعة فوجيان، وميناء هام علي ساحل بحر الصين الجنوبي عند مصب نهر جن، تجذب عبر التاريخ العرب والمسلمين بتجارتها وهي إحدى أكثر مقاطعات الصين التي تعج بالمسلمين وبالمساجد الكبيرة والصغيرة، وانغ لنغ فوي، القصة الكاملة للإسلام في الصين، ترجمة رشا كمال، شيماء كمال، مراجعة وتدقيق أحمد السعيد، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط1، 2015م، ص232، حاشية(194).

(47) عبدالجبار السامرائي، رحلة ابن بطوطة، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية، مج 18، ع 8، 1986م، ص85.

(48) فنغ ينغ يوي وشي وي مين، لمحة عن الثقافة الصينية، ترجمة فريدة وانغ فو، دار النشر الصينية عبر القارات، مايو 2001م، ص28.

(49) إبن بطوطة ، تحفة النظار، 645/2، 646.

(50) عماد علو، القوي البحرية والتجارية، ص294.

(51) ابن بطوطة، تحفة النظار، 650/2، 651/محمد فهمي عبداللطيف، التجار المسلمون ينقلون الإسلام إلي الصين، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ع 18، 1981م، ص46.

(52) ابن بطوطة، تحفة النظار، 651/2.

(53) ابن بطوطة، المصدر السابق ، 651/2/ كرم فرحات، الثقافة العربية الإسلامية في الصين، الدار الثقافية للنشر، 2005م، ص26.

(54) ابن بطوطة، تحفة النظار، 655/2.

(55) أبو حامد عبدالرحيم الأندلسي (ت 565هـ)، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تح قاسم وهب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003م، ص29، ص30.

(56) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد إبن الجوزي، (ت 597هـ /1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت ، ط1، 1929م، 118/10، 119.

(57) ابن بطوطة، تحفة النظار، 564/2، 565.

Islamic communities in the Asian ports at Ibn Battuta Tangy.

Venus Maytham Ali
Al Mustansiriyah University
Faculty of Basic Education
fynwsmythm@gmail.com

Key words:Ibn Battuta, India, China, Islamic communities

Summary:

Ibn Battuta came through his journey that lasted for more than twenty-eight years، visited and toured the countries of the Far East and some regions in Africa، and was acquainted with most of the countries and cities and the conditions of Islamic communities in them، as he conveyed to us what he saw of the aspects of political، economic and social life، and gave information Historical value is sincere and reliable evidence and proofs that he sought in his journey، and Ibn Battuta is one of the most famous travelers in the Middle Ages، he conveyed to us his experiences with the peoples and countries he visited and he narrated to us a Western culture، for he has truly exceeded every modern traveler، he lost more in the field of geography، architecture and direction The religious aspects، as his journey was a source of knowledge and knowledge and a source of narration of Arab Islamic civilization with valuable information.